القضية الثانية عشرة

بزازات أطفال مصنوعة من مخلفات القمامة

جشع التجار قضية أخلاقية

تعدّ القضية التي سوف نتناولها في السطور القادمة قضية بيئية، ولكنها في نفس الوقت ذات بعد أخلاقي؛ فهي تؤكد خطورة التجاوزات التي يقترفها بعض التجار وأصحاب المصانع بهدف تحقيق كسب مادي وثروات طائلة، وإن كان ذلك على حساب صحة المواطنين وسلامتهم، وبغض النظر عن كون الأطفال الأبرياء ضحايا لتلك التجاوزات، ودون مراعاة لكونهم ينشرون التلوث، ويشاركون في مضاعفة أخطاره وآثاره السلبية على كل أفراد المجتمع.

فالقضية التي نطرحها .. تتعلق بالأطفال، وبإحدى المنتجات المهمة التي يحتاجونها في شهورهم الأولى من حياتهم في هذه الدنيا؛ ألا وهي "البزازات"، و"البيرونات".

التلوث وعالم الطفل

فلقد شدني في جريدة أخبار اليوم خبر عنوانه: "ضبط بزازات أطفال مصنوعة من مخلفات القمامة والشباشب".

فقد أفزعني ذلك العنوان دون أن أقرأ تفاصيله، وأحسست بشعور غريب ينتابني؛ شعرت برجفة تهز جسدي، وشعرت ببرودة تسري في عظامي، وشعرت بقبضة في صدري؛ شعرت بخوف شديد.

نعم .. حتى عالم الأطفال الأبرياء لم يسلم من عبث العابثين، وجشع الكبار؛ وهذا ما جعلني أشعر بخوف شديد من المستقبل؛ فأي مستقبل ينتظر مثل هؤلاء الأطفال، وهم يرضعون التلوث والأمراض منذ نعومة أظافرهم.

تعالَ بنا – عزيزي القارئ – نقرأ سويًّا ما جاء في ذلك الخبر: "أثناء تواجد اللواء حسني الديب وكيل أول وزارة التموين بإحدى الصيدليات؛ فوجئ بأحد الباعة الجائلين يدخل الصيدلية ويعرض بيع "ببرونات" و"بزازات" أطفال، مجهولة المصدر،

وألوانها تدل على أن الخامات المصنوعة منها رديئة جدًّا. أخفى اللواء حسني شخصيته عن البائع، وادعى أنه صاحب صيدلية أخرى، ويريد كميات من هذه البضاعة؛ فأرشده البائع المتجول عن مكان المصنع واسم صاحبه. قامت إدارة الغش التجاري بوزارة التموين بمداهمة المصنع في منشية السد العالي بمدينة السلام، وإلقاء القبض على صاحبه بعد عثور القوة داخل المصنع على تلال من مخلفات الشباشب البلاستيك، وبقايا الكاوتش، وأطنان من مخلفات البلاستيك التي تم جمعها من القمامة، بالإضافة إلى ماكينة حقن البلاستيك، ومكابس يدوية وسلندرات لعجن الكاوتش وفرمه، وماكينة لصناعة جميع أجزاء "البيرونات" و"البزازات". وتمكنت الإدارة من ضبط 245 ألف بيرونة، و120 ألف بزازة، و190 ألف زجاجة بيرونة، و300 شيكارة بلاستيك مجروش. وتبين أن صاحب المصنع لا يحمل سجلًا تجاريًّا، وأنه يعمل بدون ترخيص من وزارة الصناعة، وقد تم إغلاق المصنع وإحالة صاحبه للنيابة".

انتهى الخبر، ولكن القضية لم ولن تنتهي؛ فكما هو واضح والثابت أن الصدفة، والصدفة وحدها لعبت الدور الرئيسي، وكانت وراء اكتشاف هذه الكارثة البيئية والأخلاقية.

وهذا يجعلنا نتساءل: كم من الكوارث نكتشفها بالصدفة؟ وكم منها لم ولن نكتشفه؟!

أسئلة وتساؤلات

ولا أخفيك عزيزي القارئ بعد قراءة هذا الخبر؛ فإني وجدت "سيلًا" من الأسئلة والتساؤلات تتسارع إلى رأسي، وربما إلى رأسك أنت أيضًا!:

- يا ترى كم من البيرونات والبزازات من تلك النوعيات قد وصلت بالفعل إلى أفواه أطفالنا الأبرياء؟
- يا ترى .. ما هي نوعية الأمراض والأخطار التي يمكن أن تحملها هذه

البرونات والبزازات إلى صدور وأجساد أطفالنا الغضة؟.

- يا ترى كم من الأطفال، أصيب وتوفي بسبب هذه النوعية من البرونات والبزازات، دون أن يدري ذويهم بالسبب الحقيقي لمرضهم أو موتهم؟
- يا ترى ما هي السلع الأخرى، والمستلزمات اليومية التي يحتاجها المواطنون، والتي تكون قد صنعت بنفس الطريقة؛ أي تم تصنيعها من الزبالة؟

عشرات الأسئلة والتساؤلات التي تبحث عن إجابة؛ فهل هناك إجابة صادقة عن هذه التساؤلات؟

كيفية الاستفادة الحقيقية من القمامة

القمامة هي المخلفات الناتجة عن نشاطات الإنسان اليومية، وهي تشمل بقايا الطعام، بالإضافة إلى الأوراق والكراتين وعلب الصفيح الفارغة، والعبوات البلاستيكية، وغيرها من الأشكال الحديثة التي أصبحت تستخدم حاليًا في تعبئة وحفظ الأغذية المجهزة، كما تحتوي على بعض عبوات المبيدات الحشرية الفارغة ومعطرات الجو، وغيرها.

ومن المعروف أن القمامة أصبحت إحدى المشكلات التي تواجه العديد من الدول، وخاصة مدنها المزدحمة؛ مثل: مدينة القاهرة[1]. وتحاول العديد من الدول حل مشكلة التخلص من القمامة مستخدمة أحدث الأساليب العلمية والتقنيات الحديثة.

وتعدّ عملية إعادة استخدام المخلفات الصلبة (Re-Cycling) من أحدث الطرق وأكثرها فاعلية في التعامل مع القمامة؛ حيث يتم فرز المخلفات، وتفصل مكوناتها كل على حدة، حتى يمكن الاستفادة منها؛ فتجمع المخلفات المعدنية (مثل الحديد والصاج)، وترسل إلى مصانع الصلب الصغيرة؛ حيث يعاد تصنيعها مرة أخرى إلى منتجات جديدة، تستخدم في أغراض متعددة من حياتنا اليومية.

---

(1) يبلغ إجمالي ما تنتجه مصر من القمامة نحو 10.953.150 طن سنويًا.

كذلك تفصل المخلفات الزجاجية وترسل إلى مصانع الزجاج؛ حيث يعاد تصنيعها وتحويلها إلى أنواع رخيصة من الزجاج البني أو الأخضر.

أما الأوراق وبقية المواد السليلوزية؛ فتجمع وترسل إلى مصانع الورق الصغيرة حيث يتم تبيضها ويصنع منها بعض صناديق التغليف وأوراق الكرتون.

كما يمكن استخدام النفايات المحتوية على مواد عضوية يسهل تخمرها بواسطة البكتيريا؛ مثل: الورق والقماش والخشب وبقايا الطعام؛ لإنتاج غاز الميثان. وقد قامت بعض الشركات في الولايات المتحدة الأمريكية باستغلال هذا التفاعل الذي يحدث طبيعيًّا في مستودعات القمامة؛ لإنتاج غاز الميثان بطاقة تصل إلى نحو 140 ألفًا من الأمتار المكعبة في اليوم[1].

كذلك تجمع المواد البلاستيكية وبقايا البلاستيك؛ حيث يتم إرسالها إلى مصانع صغيرة خاصة، تقوم بإعادة طحن تلك المواد، وإعادة تدويرها لإنتاج بعض الأواني البلاستيكية التي تستخدم في أغراض غير صحية.

وهكذا نجد أنه إذا أمكن توجيه محتويات القمامة التوجيه الصحيح؛ فإنه يمكن الاستفادة منها بطريقة اقتصادية، بالإضافة إلى ضمان التخلص منها بطريقة آمنة ومفيدة وغير ملوثة للبيئة؛ كما يحدث عند محاولة التحلص منها عن طريق الحرق.

المتابعة والمراقبة

كما عرفنا في السطور السابقة؛ فإن القمامة وما تحويه من مخلفات تحتوي على مواد سامة وخطرة؛ ولذلك فإن عملية إعادة تدويرها يجب أن تتم من خلال خطوات

---

(1) تتم الاستفادة من المخلفات الصلبة في الريف بطريقة مماثلة؛ فتجمع المخلفات النباتية (مثل: حطب القطن وقش الأرز) وتخلط بنفايات الحيوانات، ثم يعرض هذا الخليط لفعل البكتيريا في آبار متوسطة العمق، ويستخدم غاز الميثان الناتج والذي يسمى في هذه الحالة اسم "البيوجاز"، في عمليات التسخين وطهو الطعام.

معينة، وأن توجه لتصنيع نوعيات بعينها من المنتجات التي تفي باحتياجات بعض الأغراض غير الطبية وغير الغذائية، والتي لا تتصل بأي شكل بأحد الجوانب الصحية.

ولذلك فإن تلك العمليات المختلفة من إعادة تدوير المخلفات وتصنيعها مرة أخرى؛ تحتاج إلى مراقبة دقيقة ومستمرة للتأكد من خطوات الإنتاج، ونوعية المنتجات، والجهات التي تنتجها، والتي تستخدمها.